و«الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا يجب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله ـ عز وجل ـ فالسكوت أحب إليّ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل»[١].

إياكم والبدع وأهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون»[٢].

اعتقاد الإمام الشافعي:

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ «الحمد لله . . الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه»[٣].

«القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»[٤].

«نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال: ليس كمثله شيء»[٥].

«لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وخبر بها نبيه، صلى الله عليه وسلم أمته، لا يسع أحدًا من خلق الله ـ عز وجل ـ قامت لديه

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ص٤١٥ وينظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/١٤٨ - ١٤٩ صون المنطق ص: ١٢٠.

(٢) عقيدة السلف للصابوني: ٥٤.

(٣) الرسالة ص٧، ٨.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية: ص: ١٦٥، وانظر: إثبات صفة العلو لابن قدامة، ص٣١، الفتاوى: ٤/١٨٢ ـ ١٨٣، العلو للذهبي ص١٢٠.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٢٠/٣٤١.

الحجة أن القرآن نزل به ووضح عنده قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عنه العدل فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله ـ عز وجل ـ وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل ، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالدراية والفكر ونحو ذلك أخبار الله - عز وجل - أنه سميع وأن له يدين بقوله ـ عز وجل ـ ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ [سورة المائدة ، آية :٦٤] ، وأن له يمينًا بقوله عز وجل : ﴿**والسموات مطويات بيمينه**﴾[سورة الزمر ، آية :٦٧] ، وإن له وجهًا بقوله : ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ [سورة القصص ، آية :٨٨] ، وقوله : ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ [سورة الرحمن ، الآية : ٢٧] . . . . الخ [١]» .

و «**إن مشيئة العباد** هي إلى الله تعالى ، ولا يشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين لم يخلقوا أعمالهم وهي خلق من خلق الله تعالى أفعال العباد ، وأن القدر خيره وشره من الله ـ عز وجل ـ وأن عذاب القبر حق ومساءلة أهل القبور حق والبعث حق والحساب حق والجنة والنار حق وغير ذلك مما جاءت به السنن»[٢] .

و «**الإيمان قول وعمل** واعتقاد بالقلب ، ألا ترى قول الله عز وجل : ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ [سورة البقرة ، آية :١٤٣] ، يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمىٰ الصلاة إيمانًا وهي قول وعمل وعقد» [٣] .

و «**الإيمان قول وعمل يزيد وينقص**» [٤] .

و «. . . **الإيمان بالله** الذي لا إله إلا هو ، أعلى الأعمال درجة ، وأشرفها

(١) مناقب الشافعي للبيهقي : ١/٤١٢-٤١٣ ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٢/٧٠٢ ، وانظر : اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٦٥ .

(٢) مناقب الشافعي ١/٤١٥ .

(٣) الانتقاء ص : ٨١ .

(٤) مناقب الشافعي : ١/٣٨٥ ، مناقب الشافعي لابن كثير ١٩٣ ؛ توالي التأسيس ص٦٤ سير أعلام النبلاء : ١٠/٣٢ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١/٦٦ .

منزلة وأسناها حظًا . . إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات فمنها: التام المنتهي تمامه، والناقص البين نقصانه، والراجح الزائد رجحانه. . إن الله جل ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم فقسمه فيها، وفرقه عليها فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى.

فمنها: قلبه الذي يعقل به، ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره.

ومنها: عيناه اللتان ينظر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الذي الباَهُ من قبله ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه.

فرض على القلب غير ما فرض على اللسان، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأما فرض الله على القلب من الإيمان: فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا وأن محمدًا، صلى الله عليه وسلم، عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله جل ثناؤه على القلب وهو عمله:

﴿إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا﴾ [سورة النحل، آية:١٠٦] وقال: **﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾**[سورة الرعد، آية:٢٨]، وقال: **﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾**، وقال: **﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾**، فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان، وهو عمله، وهو رأس الإيمان.

«**وفرض [الله] على اللسان**: القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقر

به، فقال في ذلك: ﴿قولوا آمنا بالله﴾[سورة البقرة، آية:١٣٦]. وقال: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾[سورة البقرة، آية:٨٣]، فذلك ما فرض الله على اللسان من القول، والتعبير عن القلب، وهو عمله، والفرض عليه من الإيمان.

وفرض الله على (السمع): أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يغضي عما نهى الله عنه، فقال في ذلك: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾[سورةالنساء، آية:١٤٠]، ثم استثنى موضع النسيان، فقال جل وعز: ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ أي: فقعدت معهم ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[سورة الأنعام، آية:٦٨]، وقال: ﴿فبشر عباد. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ [سورة الزمر، الآيتان: ١٧، ١٨]، وقال: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ إلى قوله ﴿للزكاة فاعلون﴾[سورة المؤمنون، الآيات من ١-٤]، وقال: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾[سورة القصص، آية:٥٥] وقال: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ فذلك ما فرض الله، جل ذكره، على السمع من التنزيه عما لا يحل له، وهو عمله، وهو من الإيمان.

و «فرض على العينين»: ألا ينظر بهما إلى ما حرم الله، وأن يغضيهما عما نهاه عنه، فقال تبارك وتعالى، في ذلك: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾[سورة النور، الآيتان ٣٠، ٣١] أن ينظر أحدهم إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه من أن ينظر إليه.

وقال: كل شيء من حفظ الفرج، في كتاب الله، فهو من الزنا إلا هذه الآية، فإنها من النظر.

فذلك ما فرض الله على العينين من غضّ البصر، وهو عملهما، وهو من الإيمان.

ثم أخبر عما فرض على القلب والسمع والبصر، في آية واحدة، فقال، سبحانه وتعالى، في ذلك: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً**﴾[سورة الإسراء، الآية: ٣٦]، قال: يعني وفرض على الفرج: أن لا يهتكه بما حرم الله عليه: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾[سورة المؤمنون، آية: ٥]، وقال: ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم**﴾ الآية، يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ فذلك ما فرض الله على الفروج من حفظها عما لا يحل له، وهو عملها.

«**وفرض على اليدين**»: ألا يبطش بهما «إلى ما حرم الله تعالى، وأن يبطش بهما» إلى ما أمر الله من الصدقة وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله، والطهور للصلوات، فقال في ذلك: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق**﴾[سورة المائدة، آية: ٦]، إلى آخر الآية. وقال: ﴿**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء**﴾[سورة محمد، آية: ٤]، لأن الضرب، والحرب، وصلة الرحم، والصدقة من علاجها.

(**وفرض على الرجلين**) ألا يمشي بهما إلى ما حرم الله، جل ذكره، فقال في ذلك: ﴿**ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً**﴾[سورة الإسراء، آية: ٣٧].

«**وفرض على الوجه**»: السجود لله بالليل والنهار، ومواقيت الصلاة، فقال في ذلك: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**﴾[سورة الحج، آية: ٧٧]، وقال: ﴿**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا**﴾[سورة الجن، آية: ١٨] يعني بالمساجد: ما يسجد عليه ابن آدم في صلاته، من الجبهة وغيرها.

قال: فذلك ما فرض الله على هذه الجوارح.

وسمى الطهور والصلوات إيمانًا في كتابه، وذلك حين صرف الله، تعالى وجه نبيه، صلى الله عليه وسلم، من الصلاة إلى بيت المقدس، وأمره بالصلاة إلى الكعبة. وكان المسلمون قد صلوا إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، فقالوا: يا رسول الله، أرأيت صلاتنا التي كنا نصليها إلى بيت المقدس، ما حالها وحالنا؟.

فأنزل الله تعالى: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم**﴾[سورة البقرة، آية:١٤٣]، فسمى الصلاة إيمانًا، فمن لقي الله حافظًا لصلواته، حافظًا لجوارحه، مؤديًا بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله به وفرض عليها ـ لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة، ومن كان لشيء منها تاركًا متعمدًا مما أمر الله به ـ لقي الله ناقص الإيمان. قال: وقد عرفت نقصانه وإتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟

قال الشافعي: قال الله، جل ذكره: ﴿**وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون**﴾[سورة التوبة، الآيتان ١٢٤،١٢٥]، وقال: ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾[سورة الكهف، آية:١٣].

قال الشافعي: ولو كان هذا الإيمان كله واحدًا لا نقصان فيه ولا زيادة ـ لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطل التفضيل. ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله [في الجنة]، وبالنقصان من الإيمان دخل المفرطون النار.

قال الشافعي: إن الله، جل وعز، سَابَقَ بين عباده كما سُوبِقَ بين الخيل يوم الرهان، ثم إنهم على درجاتهم من سبق عليه، فجعل كل أمرىء

على درجة سبقه لا ينقصه فيها حقه، ولا يقدم مسبوق على سابق ولا مفضول على فاضل، وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها.

ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه ـ للحق آخر هذه الأمة بأولها(١).

وأثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم على لسان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنأهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سنن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عامًا وخاصًا وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا(٢).

و «**أفضل الناس بعد رسول الله**، صلى الله عليه وسلم، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم»(٣).

«**خلافة أبي بكر الصديق** رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه وجمع عليها قلوب أصحاب نبيه»(٤).

و «. . **من قال الإيمان قول** فهو مرجي، ومن قال أن: أن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري»(٥).

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي: ١/٣٨٧ ـ ٣٩٣.

(٢) مناقب الشافعي ١/٤٤٢.

(٣) مناقب الشافعي: ١/٤٣٣.

(٤) انظر: الفتاوى: ٥/٥٣، ١٣٩، اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٦٥.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٠/٣١.